مجلة الإحياء، المجلد: 23، العدد: 33، أكتوبر 2023، ص - ص: 25 – 44
الترقيم الدولي: 4350-1112 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2406-2588

الاتجاه الاجتماعي في تفسير القرآن من خلال تنزيل الآيات على واقع المجتمعات غير الإسلامية في كتاب "أيسر التفاسير"

The social trend in the interpretation of the Qur'an through downloading the verses on the reality of non-Islamic societies in the book "aysar altafasir"

طالبة دكتوراه أمينة بوذيب[1] **أ.د/ عبد القادر شكيمة**
Boudib Amina **Chekima Abdelkader**
جامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي
مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
amina-boudib@univ-eloued.dz chekima-abdelkader@univ-eloued.dz

تاريخ الإرسال: 2023/05/09 **تاريخ القبول: 2023/06/12**

الملخص:
يتعلق البحث باتجاه تفسيريّ برز في العصر الحديث وهو: الاتجاه الاجتماعي، الذي يصف فيه المفسر أحوال المجتمعات محاولا علاجها، واقتصرت فيه على مفسّر جزائريّ وهو: أبو بكر جابر الجزائري في كتابه "أيسر التفاسير"، الذي كان ينزّل فيه آيات القرآن على المجتمعات المعاصرة مسلمة أو غير مسلمة.

غير أنني اقتصرت على تنزيلاته المتعلقة بالمجتمعات غير المسلمة؛ من أهل الكتاب وأهل الكفر لتظهر بذلك عالميّة الكتاب وأنه نزل لهداية الناس أجمعين، ولذلك جاء عنوان البحث "الاتجاه الاجتماعي في تفسير القرآن من خلال تنزيل الآيات على واقع المجتمعات غير الإسلامية في كتاب "أيسر التفاسير".

وحاولت الإجابة عن عدّة تساؤلات أهمها: ماهي أصناف المجتمعات غير المسلمة التي نزلّ عليها المفسر آي القرآن؟ وماهي أهم القضايا التي ذكرها عنهم ونزّل عليها الآيات القرآنية؟ وما هو مقصد الشيخ من هذه التنزيلات إذ المتبادر إلى الذّهن أن القرآن نزل لهداية المسلمين فقط؟

وقد انتظمت خطة البحث في ثلاثة مباحث؛ أولها: مدخل مفاهيمي لمصطلحات البحث، وثانيها: تنزيلات تتعلق بأحوال وصفات أهل الكتاب (اليهود والنصارى)، وثالثها: تنزيلات تتعلق بأحوال وصفات أهل الكفر.

وقد توصلت فيه إلى نتائج منها: تعدّدت تنزيلات الشيخ لتشمل اليهود والنصارى والكفار، كما تنوّعت التنزيلات بين قضايا عقدية وأخلاقية؛ وكان الغرض من ذلك التحذير منهم لئلا يغتر المسلمون بهم.

الكلمات المفتاحية: الاتجاه؛ أهل الكتاب؛ التنزيل؛ أيسر التفاسير؛ الجزائري.

[1]- المرسل المؤلف.

Abstract:

This research relates to modern era, namely: the social trend, in which the interpreter describes the conditions of societies trying to treat them, it confined to interpreter: Abu Bakr Jaber Al-Jazaery,who used to reveal the verses of the Holy Qur'an to contemporary societies, non-Muslim.

However, I devoted the discussion in it to its revelations to non-Muslim societies, to show the universality of the book. The title of the research came The social trend in the interpretation of the Qur'an through downloading the verses on the reality of non-Islamic societies in the book "aysar altafasir".

And I tried to answer several questions, What are the types of non-Muslim societies to which the interpreter revealed the verse of the Qur'an? What are the most important issues that he mentioned about them and revealed the Quranic verses on them?

The research organized into three topics; The first: a conceptual introduction to the research terms, the second:downloads related to the conditions and characteristics of the People of the Book, the third:downloads related to the conditions of the people of disbelief.

Conclusions, including: The Sheikh's downloads varied: Christians, and infidels, and the downloads varied between doctrinal and moral issues.

Key words: direction; People of the Book; download; 'aysar altafasir; The Algerian.

مقدّمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن واتّبع هداه، وبعد:

فإن من أعظم المقاصد التي نزل القرآن الكريم لتحقيقها: هداية الناس أجمعين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: 9)، ولذلك تميّزت رسالة الإسلام بالعالمية، ولهذا اهتمّ المفسرون في كتبهم باستخراج التوجيهات الربانيّة للمسلمين وغيرهم، ومحاولة ربطهم بتلك التوجيهات عن طريق "تنزيل الآيات على الواقع"؛ فظهر اتجاه تفسيريّ بارز يعرف بـ "الاتجاه الاجتماعي في التفسير" ، وفي هذا البحث محاولةً لتسليط الضوء على جهود المفسرين في الرّبط بين المعاني القرآنيّة وتنزيلها على المجتمعات غير الإسلامية عند أحد أعلام التفسير في الجزائر وهو الشيخ: أبو بكر جابر الجزائري . وفيما يلي تعريف بالموضوع وتجلية معالمه:

التعريف بالموضوع: هذا البحث الذي جاء بعنوان " الاتجاه الاجتماعي في تفسير القرآن من خلال تنزيل الآيات على واقع المجتمعات غير الإسلامية في كتاب "أيسر التفاسير"، يتعلق باتجاه من اتجاهات التفسير التي كانت موجودة من قبل ولكنه برز بشكل واضح في العصر الحديث وهو: الاتجاه الاجتماعي في تفسير القرآن الكريم، والذي يركّز فيه المفسر على حال المجتمعات التي تعيش في زمانه محاولا البحث عن الأمراض والانحرافات التي تعاني منها من خلال ربطها بآيات القرآن الكريم، ثم البحث عن علاجها من خلال إرشادات تلك الآيات، وهو الأمر الذي كان يعتني به المفسر: أبو بكر جابر الجزائري في كتابه "أيسر التفاسير" من خلال عنوان كان يضعه في آخر كل مبحث من تفسيره بقوله: "هداية الآيات"، ولذلك فإنني اقتصرت على تفسيره لإيفائه بالغرض المقصود منه .

ثم إنّ الملاحظ لتفسير الشيخ والهدايات التي ذكرها يجد أنه لم يخصّصها بالمسلمين فقط، بل كان يربطها حتى بالمجتمعات غير المسلمة وينزّل عليها آيات القرآن الكريم، فحاولت جمع هذه المواضع

وتصنيفها، فوجدت أنّ الشيخ قد تحدّث عن مجتمعات متعددة غير مسلمة: من أهل الكتاب يهودا ونصارى، ومجتمعات أهل الكفر من ملحدين وعلمانيين وغيرهم، وذلك ليحذّر المسلمين من اتباعهم فيها.

الدّراسات السابقة في الموضوع: بعد بحثي عن الدراسات المتقاطعة مع موضوعي وجدت مقالا بعنوان "الشيخ أبو بكر جابر الجزائري الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسر" للدكتور: المسعود جمادي، نشر بمجلة الإحياء، العدد 22، المجلد 19، بتاريخ: سبتمبر 2019، فقد اعتنى المقال بإبراز جهود الشيخ الدعوية عموما في مؤلفاته، بينما يختص بحثي بجانب آخر عند الشيخ وهو ربطه لآيات القرآن بالمجتمعات غير المسلمة لتحذير الأمة المسلمة منها.

أهداف البحث: يسعى البحث لتجلية المواضع التي نزّل فيها المفسر أبو بكر جابر الجزائري آيات القرآن الكريم على المجتمعات غير المسلمة وتصنيفها وبيان الغرض من ذلك.

إشكالية البحث: حاولت الإجابة في بحثي هذا عن عدة إشكاليات، مجملها: ماهي أصناف المجتمعات غير المسلمة التي نزلّ عليها المفسر آي القرآن؟ وماهي أهم القضايا التي ذكرها عنهم ونزّل عليها الآيات القرآنية؟ وما مقصد الشيخ من هذه التنزيلات؟ إذ المتبادر إلى الذّهن أن القرآن نزل لهداية المسلمين فقط.

أهمية البحث: تكمن أهمية هذا البحث في كونه يسلط الضوء على اتجاه تفسيري معاصر وهو الاتجاه الاجتماعي عند علم من أعلام التفسير المعاصرين في الجزائر وهو الشيخ: أبو بكر جابر الجزائري.

كما تظهر أهميته في كونه يعطي صورة للقارئ بأن القرآن الكريم إنما نزل لهداية العالمين من المسلمين وغيرهم؛ حيث تحدث القرآن عن البشرية جمعاء، وفائدة حديثه عن غير المسلمين، أولا: تقويم سلوكهم من الانحراف، وثانيا: تحذير المسلمين من اتباعهم فيصيبهم ما أصابهم.

خطة البحث: وللإجابة عن الإشكالات السابقة وتحقيق الأهداف المرجوّة فقد قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث وفق الخطة الآتية: **المبحث الأول**: مدخل مفاهيمي لمصطلحات البحث، وفيه مطلبان؛ أولهما: ترجمة الشيخ أبي بكر الجزائري ثم بيان منهجه في كتابه "أيسر التفاسير"، والثاني: الاتجاه الاجتماعي وتنزيل الآيات على الواقع .**المبحث الثاني:** تنزيلات تتعلق بأحوال وصفات أهل الكتاب (اليهود والنصارى)، وفيه ثلاثة مطالب؛ أولها: تنزيلات على الأحوال والصفات المشتركة بين اليهود والنصارى والثاني: تنزيلات تتعلق بأحوال وصفات خاصة باليهود، والثالث: تنزيلات تتعلق بأحوال وصفات خاصة بالنصارى. **المبحث الثالث:** تنزيلات تتعلق بأحوال وصفات أهل الكفر، وفيه مطلبان؛ **أولهما**: تنزيلات تتعلق بالطعن في الإسلام والمجتمع الإسلامي، **والثاني**: تنزيلات تتعلق بحال أهل الكفر ومجتمعهم.

وفيما يلي بيان وتفصيل لمفردات البحث ومسائله:

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي لمصطلحات البحث

وحاولت في هذا المبحث بيان المصطلحات والمفاهيم العامة التي بني عليها بحثي، وهي متعددة ولذلك جعلتها في مطلبين هما:

المطلب الأول: ترجمة الشيخ أبي بكر جابر الجزائري ومنهجه في كتابه "أيسر التفاسير"

الفرع الأول: ترجمة الشيخ أبي بكر جابر الجزائري[1].

أولا: اسمه ونسبه ونشأته

هو الشيخ أ بو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر الجزائري، وهو من بني هلال أحد القبائل العربية التي خرجت من الجزيرة العربية، واستقرت في إفريقيا واستوطنتها، فهو عربي الأصل.

ولد بقرية (ليوه) ببسكرة من عرش جابر المعروفين ببساطتهم وتعلّقهم بالدين، وكان مولده عام (1342هـ/1921م) وقيل عام (1340هـ)، نشأ يتيما في حجر أمّه، له ابن واحد وتسع بنات[2].

ثانيا: طلبه للعلم وأعماله

كانت أسرة الشيخ: من آبائه وأجداده حفّاظ القرية للقرآن الكريم، يتوارثون ذلك، فنشأ في ذلك الجوّ المتديّن، ولذلك أشرفت أمّه على تعليمه وتحفيظه القرآن الكريم، فأتمّ حفظه في سنّ السادسة عشر، أو الرابعة عشر، ثم أضاف إلى ذلك حفظ الآجرّومية في النحو، ومنظومة ابن عاشر في الفقه المالكي، ومن ثَمّ انتقل إلى بسكرة، فدرس على الشيخ نعيم النعيمي، وفي أثناء ذلك قدم قرية ليوة شيخ فاضل يسمى "عيسى معتوقي" فعاد إليها ليدرس عليه العربية و المنطق ومصطلح الحديث وأصول الفقه، ثم انتقل إلى العاصمة ليعمل مدرّسا في إحدى المدارس الأهلية، وواصل طلبه للعلم على الشيخ الطيب العقبي الذي يعتبره من أفضل مشايخه والموجّه الأكبر لسلوكه في النهج الإسلامي الصحيح[3].

ثم ترك الشيخ الجزائر مهاجرا إلى الحجاز عام (1372هـ)، قاصدا للحجّ والعمرة والرجوع إلى بلده بعد ذلك، إلا أنه لما أتم الحجّ والعمرة عزم على البقاء في الحجاز وواصل بعد ذلك الأخذ على مشايخ المدينة؛ فلازم حلقة الشيخ عمر برّي، والشيخ محمد الحافظ، وكذلك الشيخ محمد الخيال، ورئيس قضاتها وخطيب مسجدها الشيخ عبد العزيز بن صالح.

وفي عام (1374هـ،1961م) نال الشهادة العالمية من كلية الشريعة بجامعة الرياض، وحصل على إجازة من رئاسة القضاة بمكة المكرمة للتدريس بالمسجد النبوي، فأصبحت له حلقة يدرّس فيها تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف لأكثر من خمسين عاما، وكان مدرّسا بالجامعة الإسلامية التي كان له دور فعّال في إنشائها، حيث دعى المسؤولين إلى بنائها، وبقي فيها حتى أحيل للتقاعد عام 1406هـ[4].

ثالثا: مؤلفاته ووفاته

تميزت مؤلفات الشيخ بسهولة الأسلوب وقوّته وقربها من الفهم، وكان له عدد كبير من المؤلفات، منها:

1- "منهاج المسلم"، وهو من أكثر مصنفاته قبولا وانتشارا في البلدان العربية.
2- "عقيدة المؤمن"، يشتمل على أصول عقيدة المسلم.
3- "نداءات الرحمن لأهل الإيمان"، وهو كتاب في علوم القرآن .
4- "هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب"، كتاب في السيرة.
5- "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير"، وبهامشه: نهر الخير على أيسر التفاسير". وهو تاج مؤلفاته.

توفي الشيخ رحمه الله في المدينة المنورة قبيل فجر الأربعاء 4 ذو الحجة 1439هـ الموافق 15 أغسطس 2018م، عن عمر ناهز 97 عاما، بعد صراع مع المرض، وصلي عليه صلاة الجنازة بعد ظهر يوم وفاته في المسجد النبوي الشريف، ودفن في مقبرة البقيع[5]. فرحمه الله وجزاه خيرا على ما قدّم للإسلام والمسلمين.

الفرع الثاني: التعريف بكتاب "أيسر التفاسير" وبيان ومنهج مؤلفه فيه

أولا: التعريف بكتاب "أيسر التفاسير"

يعتبر هذا الكتاب من أبرز مؤلفات الشيخ والتي شهدت رواجا كبيرا، وهو مطبوع في خمسة مجلدات، ووضع له حاشية سمّاها "نهر الخير" طُبعت بهامشه، وجعلها كالتعليق على تفسيره، أضاف فيها بعض الزّيادات؛ كالشّواهد اللغويّة، والآثار والأحاديث النبويّة، و ذكر الاختلاف الوارد في الآية ذات الوجوه، وغيرها من الفوائد التي رآها مناسبة، والتي ذكرها في مقدمة تفسيره، هذا وقد بيّن الشيخ -رحمه الله- السبب

الدّاعي لكتابة هذا التفسير فقال: "هذا ونظراً لليقظة الإسلامية اليوم فقد تعيّن وضع تفسير سهل ميسّر يجمع بين المعنى المراد من كلام الله، وبين اللفظ القريب من فهم المسلم اليوم، نُبَيّن فيه العقيدة السلفية المنجية، والأحكام الفقهية الضرورية، مع تربية ملكة التقوى في النفوس، بتحبيب الفضائل وتبغيض الرذائل، والحث على أداء الفرائض واتقاء المحارم، مع التجمل بالأخلاق القرآنيّة والتحلّي بالآداب الربانيّة، وقد هممت بالقيام بهذا المتعيّن عدّة مرات في ظرف سنوات،..."[6].

ثانيا: منهجه فيه

قام الشّيخ أبو بكر الجزائري بتوضيح منهجه في مقدمة تفسيره، حيث ذكر أنّ مميزات هذا التفسير:

1- الوسطية بين الاختصار المخلّ، والتطويل المملّ.

2- اتباع منهج السلف في العقائد والالتزام بعدم الخروج عن المذاهب الأربعة في الأحكام الفقهية.

3- إخلاؤه من الإسرائيليات صحيحها وسقيمها إلاّ ما لا بدّ منه لفهم الآية الكريمة وكان مما تجوز روايته لحديث... "وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"[7].

4- صرّح أيضا بإغفال الخلافات التفسيرية و الالتزام بما رجّحه ابن جرير الطبري في تفسيره عند اختلاف المفسرين في معنى الآية، وقد لا يأخذ برأيه في بعض التوجيهات للآية.

5- إخلاء الكتاب من المسائل النحوية والبلاغية والشواهد العربية وعدم التعرض للقراءات إلا نادراً جدّا للضرورة حيث يتوقف معنى الآية على ذلك.

6- بالنسبة للأحاديث فقد اقتصر على الصحيح والحسن منها دون غيرهما، ولذا لم يعزها إلى مصادرها إلا نادرا.

7- جاء تفسيره خاليا من ذكر الأقوال وإن كثرت والالتزام بالمعنى الراجح الذي عليه جمهور المفسرين من السلف الصالح ،حتى إن القارئ لا يفهم أن هناك معنىً غير الذي فهم من كلام ربه تعالى.

وهذه ميزة جليلة وذلك لحاجة جميع المسلمين للاجتماع على فكر إسلامي موحّد صائب سليم، ولذا فقد جعل الكتاب دروساً منظمة متسقة فقد يجعل الآية الواحدة أو الآيتين أو أكثر درساً فيشرح كلماتها، ثم يبيّن معناها، ثم يذكر هدايتها المقصودة منها للاعتقاد والعمل[8].

المطلب الثاني: الاتجاه الاجتماعي وتنزيل الآيات على الواقع

الفرع الأول: تعريف الاتجاه الاجتماعي في التفسير وأهمّ معالمه عند أبي بكر الجزائري

أولا: تعريف الاتجاه الاجتماعي في التفسير

ظهر هذا الاصطلاح في العصر الحاضر مواكبا لتصنيف الدراسات القرآنية، وقد عرفه العلماء والباحثون بعدّة تعريفات، منها: تعريف الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي الذي جعله من بين اتجاهات التفسير في العصر الحديث وعرفه باعتبار وظيفته فقال: "يركز صاحب التفسير ذي الاتجاه الاجتماعي على مجتمعات المسلمين، ويحرص على إصلاح تلك المجتمعات على أساس القرآن ويعالج أمراض ومشكلات المجتمع المختلفة ويقدم السنن الاجتماعية الكفيلة برقيّ المجتمعات وتقدّمها"[9].

ثانيا: أهم معالم الاتجاه الاجتماعي عند الشيخ أبي بكر جابر الجزائري

اهتم المفسر أبو بكر جابر الجزائري بالاتجاه الاجتماعي في التفسير في كتابه "أيسر التفاسير" من خلال التركيز على معالم كثيرة، أبرزها:

1- الوَحْدَة الموضوعيّة في القرآن الكريم؛ التي يتم بها معالجة موضوع معيّن في ضوء الآيات القرآنية، وإعطاء تصوّر قرآنيّ عنه.

2- الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية، التي تعتني بدراسة موضوعات السورة، وتقسيمها لمجموعة من الدروس المترابطة فيما بينها.
3- شمول القرآن وإعجازه، لتظهر به عظمة القرآن الكريم وأنه شمل بتوجيهاته العالمين جميعا مسلمين وغير مسلمين.
4- الإصلاح الاجتماعي، الذي يركز فيه المفسر على الظواهر الاجتماعية باختلافها عقديّة أو أخلاقيّة، واصفا لها مقترحا حلولا معينة.
5- تنزيل الآيات على الواقع، حيث يربط المفسر بين معنى الآية وبعض الوقائع التي وقعت زمنه.
وهي كلها معالم تحدّث عنها المفسر وطبقها، ولكني سأسلط الضوء في هذا البحث على أهم معلم منها وهو: تنزيل الآيات على الواقع.

الفرع الثاني: تعريف "تنزيل الآيات الواقع"، أنواعها عند أبي بكر الجزائري، وفوائدها، وضوابطها

أولا: تعريف "تنزيل الآيات على الواقع" وأنواعه عند الشيخ أبي بكر الجزائري

1- تعريف تنزيل الآيات على الواقع: وهي: محاولة المفسر ربط معنى الآية بما يقابلها من الأحداث الواقعة في المجتمع زمن تفسيره لكتاب الله، وذلك للسير وفق التوجيهات الربّانيّة في القضية محلّ الدراسة[10].

2- أنواع التنزيل عند الشيخ أبي بكر الجزائري: جاءت تنزيلات الشيخ أبي بكر على قسمين:

الأول: التصريح: فكان يصرح بأن معنى الآية حاصل في زمانه، ثم يربط واقعه بمعنى الآية صراحة، ومن أمثلة ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾ (مريم: 59)، حيث قال "قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ يخبر تعالى عن أولئك الصالحين ممّن اجتبى وهدى من النّبيين وذرّيّاتهم، أنه خلف من بعدهم خلف سوء كان من شأنهم أنهم ﴿أَضَاعُوا الصَّلاةَ﴾ فمنهم من أخّرها عن أوقاتها ومنهم من تركها ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ فانغمسوا في حمأة الرذائل فشربوا الخمور وشهدوا الزور وأكلوا الحرام ولهوا ولعبوا وزنوا وفجروا، بعد ذهاب أولئك الصالحين كما هو حال النصارى واليهود اليوم وحتى كثير من المسلمين،..."[11].

الثاني: التلميح: بأن يشير إلى أن معنى الآية حاصل في زمنه دون أن يصرح بذلك، بل يورده على سبيل التعريض أو التلميح، ومن أمثلته ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ (58) كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (59)﴾ (الروم: 58-59)، حيث قال: "في هذه الآية إنذار خطير للجهال وتنديد بالجهل، إذ أهله لا يفهمون عن الله ولا يهتدون إلى سبل الخير وطريق السعادة والكمال ولذا أوجب الرسول ﷺ طلب العلم على كلّ مسلم في قوله "طلب العلم فريضة على كلّ مسلم"[12]، وما أصاب المسلمين ما أصابهم من خوف وهون ودون إلا نتيجة لجهلهم بربهم ومحابّه ومكارهه وضروب عباداته وكيفيات أدائها، لتزكوا بها نفوسهم وتطهر أرواحهم وقلوبهم"[13]. فهذا تلميح منه للواقع الذي يعيشه المسلمون.

ثانيا: فوائد تنزيل الآيات على الواقع، وضوابطه

تنزيل الآيات على الواقع لها فوائد كثيرة جدّا منها:
1- توثيق أبرز الأحداث التاريخية في عصر المفسّر.
2- معرفة موقف المفسر من الأحداث التي كانت تدور في زمانه.
3- تقريب معنى الآية من أذهان الناس حتى يفهموها فهما سليما لأنها مرتبطة بواقعهم.

4- ربط المسلم بكتاب الله تعالى، والسير وفق التوجيهات الربانيّة في القضايا التي تدور في حياته للوصول إلى برّ الأمان في الدنيا والآخرة.

5- التعرّف على طرف من سيرة المفسّر، وذلك من خلال نثره لشيء من مذكراته الشخصية، وبعض المواقف التي حدثت له، محاولا ربطها بمعاني كتاب الله تعالى[14].

3- أهم الضوابط التي يجب مراعاتها في تنزيل الآيات على الواقع: هناك عدة ضوابط ينبغي للمفسر أن يراعيها إذا أراد ربط معنى الآية بواقعه ربطا صحيحا، أهمها:

1- سلامة المقصد في تنزيل الآية: وذلك بالتجرّد عن العصبية المذهبية عقدية كانت أو فقهية أو سياسية، وإلا وقع في التخبّط وحاول أن يتكلّف معاني بعيدة عن مقصود الآيات لينصر بها مذهبه فيقع في الخطأ .

2- مراعاة معنى سبب نزول الآية: فسبب النزول معين على فهمها، ومن ثَمَّ يقدر المفسر على تصوّر معناها واستحضار الأحداث والمواقف المشابهة لها ممّا يدور في زمانه، وإلا وقع في الخطأ.

3- معرفة السياق الذي وردت فيه الآية: لأن مراعاة السياق والسباق واللحاق، مما يعين المفسر على فهم المعنى الصحيح للآية ومن ثمّ القدرة على ربطها بالواقع، فمثلا إذا كانت الآية في سياق الحديث عن مشاهد يوم القيامة وأهواله، فإنه لا يصحّ أن تنزّل على أحوال الدنيا لما بينهما من الفوارق.

4- أن يكون المفسر متبصّرا بأحوال الواقع المعاصر له: وذلك ليتمكّن من ربط الآية بواقعه وتصوير القضية تصويرا صحيحا ثم معالجتها في ضوء التوجيهات الربانية، أما إذا لم يكن متصوّرا لما يدور حوله من قضايا وأحداث أو يكون تصوره لها قاصرا، فإن تنزيله للآية يكون قاصرا كفهمه.

5- أن يكون التنزيل مندرجا تحت أصل الآية: فلا يجنح المفسّر إلى تفسيرها تفسيرا معاصرا مستقلاّ بذاته دون الرجوع إلى المعنى الذي بيّنه النبي ﷺ والصحابة والتابعون، ويدّعي أن ما حدث في الواقع المعاصر هو الذي ينبغي أن تنزّل عليه الآية دون غيره، كما يحتاج إلى معرفة اللسان العربي معرفة واسعة صحيحة[15].

المبحث الثاني: تنزيلات تتعلق بأحوال وصفات أهل الكتاب (اليهود والنصارى)

مما يدل على محاولة الشيخ أبي بكر استنطاق آي القرآن وتنزيلها على الواقع؛ أنه كان ينزّل الآيات القرآنية حتى على غير المسلمين من أهل الكتاب يهود أو نصارى، وقد جمعت في هذا المبحث المواضع المتعلقة بهم وقسّمتها على ثلاثة أقسام حسب تنزيلات الشيخ: **أولها**: تنزيلات على الأحوال والصفات المشتركة بين اليهود والنصارى، **وثانيها**: تنزيلات تتعلق بأحوال وصفات خاصة باليهود، **وثالثها**: تنزيلات تتعلق بأحوال وصفات خاصة بالنصارى، وسأذكر كلّ واحد منها في مطلب مستقل، وذلك كما يلي:

المطلب الأول: تنزيلات على الأحوال والصفات المشتركة بين اليهود والنصارى

ذكر الشيخ أبو بكر أربع صفات وأحوال مشتركة اتصف بها اليهود والنصارى على حدّ سواء؛ كانت ولا زالت فيهم إلى يومنا هذا ليبيّن الشيخ أنهم لا زالوا متصفين بها وليحذر المسلمون منها، وهي أربع صفات بيانها كما يلي:

الفرع الأول: عداؤهم للمسلمين

عداوة أهل الكتاب للمسلمين معروفة منذ القديم وحتى الحديث وهي عداوة ظاهرة وباطنة، لأنهم يعلمون فضل هذه الأمة وفضل نبيّها ولكنهم لم يرضوا بحكم الله واصطفائه لها[16].

وقد تحدّث الشيخ عن عداوتهم للمسلمين وأن القرآن نصّ عليها وذلك لما فسر قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْحَقُّ﴾ (البقرة:

109)، حيث قال: "... اليهود والنصارى يعلمون أن الإسلام حق وأنّ المسلمين على حق فحملهم ذلك على حسدهم ثم عداوتهم، والعمل على تكفيرهم ... وهذه النفسية ما زالت طابع أهل الكتاب إزاء المسلمين إلى اليوم"[17]. وقال في موضع آخر "لا يزال اليهود والنصارى في عداء للإسلام وحرب على المسلمين، والمسلمون يكفيهم الله تعالى شرهم إذا هم استقاموا على الإسلام عقيدة وعبادة وخلقاً وأدباً وحكماً"[18]. فذكر مفسرنا في هذين النصين عداوة أهل الكتاب للمسلمين وأنها مستمرة إلى المعاصرين منهم وليست قديمة فقط، ثم ذكر سبيل العصمة من شرورهم وهي الالتزام بشريعة الله تعالى.

الفرع الثاني: الاختلاف والعداوة بينهم

العداوة بين اليهود والنصارى كانت ولا زالت خاصّة في الجانب الديني فكلّ منهما يكيد للآخر، وإن كانت هذه العداوة خفيّة قد لا تظهر للعيان فيظن الناظر أنهم على قلب رجل واحد لكن الحقيقة غير ذلك، وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتْ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ (البقرة: 113)، وفي هذا يقول أحد كبار الرهبان النصارى: "إنَّ القوى ذاتها التي صلبت المسيح طيلة ألف وتسعمائة سنة تَسعى اليوم إلى صلب كنيسته -ثم يقرر هذا الراهب النصراني- أنَّ اليهوديَّة العالميَّة التي نجحت في إذلال شعوب الأرض تترقَّب الفرصة المواتية؛ لسحق المسيحيَّة سحقًا كاملاً"[19].

والشيخ أبو بكر الجزائري تحدّث عن قضيّة العداوة التاريخية بين اليهود والنصارى، لما فسر قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (البقرة: 176)، فقال "أخبر تعالى أن الذين اختلفوا في الكتاب التوراة والإنجيل وهم اليهود والنصارى لفي عداء واختلاف بينهم بعيد، وصدق الله فما زال اليهود والنصارى مختلفين متعادين إلى اليوم، ثمرة اختلافهم في الحق الذي أنزله الله وأمرهم بالأخذ به فتركوه وأخذوا بالباطل فأثمر لهم الشقاق البعيد"[20].

ثم نبه الشيخ إلى أمر مهم قد يطرحه بعضهم كشبهة يطعن بها في القرآن الكريم وما أخبر به من حقائق، وهو أن اليهود والنصارى متعاونون فيما بينهم في الظاهر وهم يد واحدة، وهذا يوهم التعارض مع القرآن الذي أخبر بأنهم أعداء كما في الآية السابقة، يقول مفسرنا رحمه الله "وإن قيل: إن التعاون القائم اليوم بين اليهود والنصارى يردّ ما في الآية، قلنا: إن اليهود احتالوا على النصارى فضربوهم بالإلحاد، فلما قضي على العقيدة الدينية فيهم أصبحوا سخرة لهم يتحكمون فيهم، وبذلك فرضوا عليهم حبّهم وعدم عداوتهم"[21]. فهذه النصوص من الشيخ هي كلها ربط منه بين واقع أهل الكتاب اليوم وبين آيات القرآن الكريم.

الفرع الثالث: تتابع الذلة عليهم إلى يوم القيامة

مما لا يشك فيه المسلم أن كلّ من خالف شريعة الله ولم يؤمن بها وحاربها سيسلط الله تعالى عليه الذّلّ والهوان عاجلا أم آجلا؛ وهذا الحكم ينسحب على أهل الكتاب بلا شك، كما قال الحسن البصري: "أذلهم الله فلا مَنْعة لهم، وجعلهم الله تحت أقدام المسلمين"[22].

وقد قرّر مفسرنا هذه الحقيقة وأوضحها لما فسّر قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنْ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (آل عمران: 112)، فهذه الآية جاءت في سياق الحديث عن أهل الكتاب جميعا وبينت أن الله أذلّهم، يقول الشيخ أبو بكر " أخبر تعالى في الآية أنه تعالى ضرب عليهم الذلة والمسكنة أينما ثقفوا وفي أيّ البلاد وُجدوا لن تفارقهم الذلّة والمسكنة في حال من

الأحوال إلاّ في حال دخولهم في الإسلام وهو حبل الله، أو معاهدة وارتباط بدولة قوية وذلك هو حبل الناس"[23].

ثم قيد مفسرنا هذه الحقيقة بأنها مرتبطة باستمرارهم على دينهم وإصرارهم عليه، فإن انقادوا لدين الإسلام أو ارتبطوا بدولة قويّة رفعت عنهم، فقال رحمه الله: "إلا في حال إسلامهم أو ارتباطهم بمعاداة دولة قوية كما هي الحال اليوم...الحبل مستعار هنا للعهد، أي: المعاهدة التي تربطهم بدولة قوية كبريطانيا وأمريكا الآن"[24]. فكما نلاحظ ربط الشيخ بين معنى الآية وواقع أهل الكتاب المعاصرين، مما يدلّ على سعة اطّلاع الشيخ على أحوال العالم المعاصر ودقّة ربطه بين الوقائع الحادثة وبين معاني الآيات حتى أنه كان يذكر الأشياء بمسمّياتها.

الفرع الرابع: الهلاك والدمار في طاعتهم وموالاتهم

لاشكّ أن العدوّ لا يحب لعدوّه إلا ما يضرّه؛ فإن أطعته ووليته هلكت، وقد تحدّث الشيخ عن هذه المسألة لما فسّر قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ (آل عمران: 100)، وقصّة نزول هذه الآية أنها نزلت في شاس بن قيس شديد الضغن على المسلمين، الذي مرّ بنفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج، في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من إلفتهم وصلاح ذات بينهم، فأمر فتى شابا من يهود وقال: اعمد إليهم، ثم ذكّرهم يوم بُعاث وما كان، فتكلّم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان وكان الناس يتقاتلون، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم حتى جاءهم فقال: "يا معشر المسلمين الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم..." فأنزل الله هذه الآية[25]، ولما ذكر فسّر الشيخ أبو بكر هذه الآية ربطها بالواقع المعاصر قال: "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فطاعة أعداء الإسلام من اليهود والنصارى كانت وما زالت سبب دمار أمة الإسلام"[26].

المطلب الثاني: تنزيلات تتعلق بأحوال وصفات خاصة باليهود

وذكر فيها مفسرنا ست صفات خاصة باليهود المعاصرين ورثوها عن أجدادهم بيانها كما يلي:

الفرع الأول: المكر والخداع والتضليل

عرف اليهود بالمكر والخداع من قديم الزمان، وهي حقيقة دوّنها القرآن الكريم فجاءت آيات عديدة مخبرة بهذه الصفة عنهم ، منها قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (72) وَلا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (73)﴾ (آل عمران: 72-73)، وقد نبه على ذلك جمع من المفسرين منهم الإمام الثعالبي الذي قال: "أخبر الله سبحانه في هذه الآية أن طائفة من اليهود من أحبارهم ذهبت إلى خديعة المسلمين بهذا المنزع فقالوا: لنظهر الإيمان بمحمد صدر النهار ثم لنكفر به آخر النهار فسيقول المسلمون عند ذلك ما بال هؤلاء كانوا معنا ثم انصرفوا عنا ما ذاك إلا لأنّهم انكشفت لهم حقيقة في الأمر فيشكّون، فهذه الآيات تبيّن شدّة مكر اليهود للمسلمين" [27].

ولما فسّر الشيخ أبو بكر الجزائري هذه الآية نبّه إلى أن هذا المكر من اليهود ما زال إلى يومنا هذا؛ بل استعملوا فيه وسائل جديدة أشدّ مكرا مثل وسائل الإعلام المعاصرة، فقال:""من هداية الآيات:

1- تسجيل المكر والخداع على اليهود وأنه صفة من صفاتهم اللازمة لهم إلى يوم القيامة.

2- الكشف عن التعصب اليهوديّ وأساليب التمويه والتضليل، والإعلام العالمي اليوم مظهر من مظاهر التضليل اليهودي"[28]. وقال في موضع آخر: "بيان مكر اليهود بالمؤمنين بالعمل على إضلالهم في عهد النبوة وإلى اليوم"[29].

كما بين الشيخ أن سعيهم لن يتوقف إلى قيام الساعة فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (آل عمران: 79)، فقال "تقدم أنهم من يهود المدينة وأن العبرة بعموم اللفظ، لذا فإن هذا النوع ما زال إلى اليوم يود إضلال المسلمين"[30].

فمن النصوص السابقة لمفسرنا نلحظ تركيزه على هذه الصفة في اليهود تنبيها على خطورتها على المجتمع الإسلامي بوسائل خطيرة قد تؤدي لهلاكه.

الفرع الثاني: قسوة القلوب

عرف اليهود بقسوة القلوب عبر التاريخ، فقد جاءهم موسى عليه السلام بمعجزات كثيرة ومع ذلك لم يؤمنوا فقست قلوبهم، وقسوة قلوبهم نشأ عنها أفعال فاسدة وأعمال قبيحة، من مخالفة الله تعالى ومعاندة رسله وغيرها[31].

وقد وصفهم الله عز وجل بهده الصفة في قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ (البقرة: 73)، والشيخ أبو بكر الجزائري لما فسر هذه الآية نزّلها على اليهود المعاصرين الذين هم خلف لأسلافهم فورثوا عنهم هذه الصفة الذّميمة، وفي ذلك يقول: "اليهود من أقسى البشر قلوباً إلى اليوم، إذ كلّ عام يرمون البشريّة بقاصمة الظهر وهم ضاحكون"[32]. فوصف الشيخ لهم بهذا الوصف غرضه بيان ضررهم على البشرية المعاصرة، وهذا يدلّ على معرفته بقسوة قلوبهم التي تدلّ عليها أفعالهم.

الفرع الثالث: تشتتهم

اليهود أمة مشتّتة من قديم الزمان، وتشتّتهم منوّع بين تشتّت العقائد والآراء والتشتّت في الأرض، فقد حكم الله عليهم بقوله: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ﴾ (المائدة: 26)، فتشتّتوا في الأرض ولبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون في كلّ يوم جادّين، حتّى إذا أمسوا وباتوا فإذا هم في الموضع الذي ارتحلوا عليه كأنهم لم يتحرّكوا[33].

وقد ذكر الشيخ أبو بكر تشتّت اليهود بنوعيه الفكري والجغرافي، وبيانه:

النوع الأول: وهو تشتتهم واختلافهم في العقائد، وله مظاهر كثيرة مثّل لها مفسّرنا باختلافهم في المسيح عليه السلام، أهو قتل أم صلب؟ ثم اختلف الرواة في كيفية القتل والصلب، ولم يثبت عن رسول الله ﷺ في ذلك شيء غير ما دل عليه القرآن[34]. وقد ذكر الشيخ اختلافهم لمّا فسّر قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾ (النساء: 157-158)، فقال: "ما زال الخلاف قائمًا إلى اليوم، فالجمهور منهم يقولون: صلب عيسى وقتل وبعد ثلاثة أيام رفع، وخلاف الجمهور يقولون: لم يصلب عيسى ولم يقتل"[35].

النوع الثاني: من تشتت اليهود وهو تشتتهم في الأرض، وهو من أحوالهم الدائمة التي لا تفارقهم، وقد ذكر الشيخ هذا النوع لما فسّر قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَماً مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الأعراف: 168)، فهذه الآية قرّرت أن اليهود متفرّقين بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لأدبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط[36]، وقد ذكر هذا المعنى الشيخ أبو بكر ثم ردّ على شبهة احتلالهم لبيت المقدس واجتماعهم فيه اليوم فقال: "أي: شتّتناهم في البلاد بعد تسلّط البابليّين

عليهم وتمزيق ملكهم، فعاشوا مشتّتين فلم ينتظم ملكهم مدّة طويلة وهم إذ ذاك ما بين صالح وفاسد، وانتظم أمرهم مرة أخرى ثمّ فسقوا فسلّط عليهم أطيطوس الروماني فتفرّقوا مرّة أخرى وما زالوا مفرقين إلى هذه الأيام؛ باجتماعهم في فلسطين وتكوينهم دولة إسرائيل وعمّا قريب تزول"[37].

الفرع الرابع: فشو الزنا بينهم

ظاهرة فشو الزنا بين اليهود غير مستغربة لأنهم لم يتمسّكوا بدينهم بل اتّبعوا شهواتهم وأهوائهم فشاعت الفاحشة فيهم مع لأن شريعتهم جاءت بحد الزاني، فقد جاء في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "إن الْيهود جاءوا إلى رسول الله فَذَكَرُوا لَه: أَنَّ امرأة منهم وَرجلا زنيا، فَقَال لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: مَا تَجِدُون في التَّوراة، في شأْن الرَّجم؟ فَقَالوا: نَفضحهم وَيُجْلَدُون، قَال عبد الله بن سَلام: كذبتم، فيهَا آية الرَّجْم، فَأَتَوْا بِالتَّوراة فَنَشَرُوهَا، فَوَضعَ أحدهم يَده عَلَى آيَة الرَّجْم فقرأ ما قبلها وما بعدها، فَقَال لَه عبد الله بن سَلام: ارْفَعْ يدَك. فَرَفَعَ يده، فَإذا فيهَا آيَةُ الرَّجم، فَقَال: صدَقَ يا محَمَّد، فأمر بِهِما النَّبِيُّ ﷺ فَرُجِما، قَال: فرأيت الرَّجلَ: يَجْنَأُ عَلَى المرأة يَقِيهَا الْحجارة"[38].

وأما مفسرنا فإنه نبهّ على ظاهرة الزنا عند اليهود المعاصرين وفشوّها بينهم لمّا فسّر قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنْ الْقَانِتِينَ﴾ (التحريم: 12)، فقال: "ومريم بنت عمران التي أحصنت فرجها عن الرجال في الوقت الذي عم البغاء والزنا ديار بني إسرائيل كما هي الحال اليوم في ديار اليهود وأمثالهم قد لا تسلم امرأة من الزنا بها"[39].

الفرع الخامس: نقض العهود

صفة نقض اليهود معروفة عن اليهود من قديم الزمان، بل هي من أخلاقهم الراسخة فيهم التي لم يتنازلوا عنها أبدا، فدأبهم وديدنهم قديماً وحديثاً نقض العهود[40].

وهذه الصفة نبّه عليها جميع المفسرين في الآيات التي ذكرت صفة نقض اليهود للعهود؛ ومنهم مفسّرنا الشيخ أبو بكر الجزائري الذي هو من أعلم الناس بخباياهم، ولهذا فإنه لما فسّر قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ﴾ (الأنفال: 56)، قال: "هذه الآيات تصف خصوما للدعوة الإسلامية، وهم يهود بني قريظة الذين نقضوا العهود التي بينهم و بين الرسول ﷺ، وهذه حالهم إلى اليوم - ولهذا قال الشيخ -: سبحان الله، هذا الوصف الخسيس ما زال ملازما لليهود إلى اليوم فلا يوفون بعهد ولا ذمّة أبداً، وصدق الله العظيم إذ قال عنهم: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: 100)"[41].

ونظرا لرسوخ هذه الصفة فيهم فإن الشيخ أبا بكر حذّر من الوثوق بهم حين المعاهدة معهم، فقال: "نقض اليهود للعهود والمواثيق أصبح طبعاً لهم لا يفارقهم أبداً، ولذا وجب عدم الثقة في عهودهم ومواثيقهم"[42]. وهذا كله تنبيه من الشيخ للأمة أفرادا وجماعات لئلا يثقوا بهم لحلاوة لسانهم وتظاهرهم بالصدق والوفاء.

الفرع السادس: شدة حرصهم على الحياة

ذكر القرآن الكريم صراحة تعلّق اليهود بالحياة الدنيا وشدة حرصهم عليها، فقال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: 96)، وهذا التعلق إنما كان منهم لعلمهم بما لهم في الآخرة من الخزي والهوان الطويل[43].

ولما فسر الشيخ أبو بكر الآية السابقة ذكر اتصاف اليهود بهذه الصفة إلى اليوم مثل سابقيهم فقال: "من هداية الآيات... صدق القرآن فيما أخبر به عن اليهود من حرصهم على الحياة ولو كانت رخيصة ذميمة، إذ هذا أمر مشاهد منهم إلى اليوم"[44].

المطلب الثالث: تنزيلات تتعلق بأحوال وصفات خاصة بالنصارى

وقد ذكر مفسرنا ثلاث صفات خاصة بالنصارى بيانها كما يلي:

الفرع الأول: اختلاف فرق النصارى في عيسى عليه السلام

اختلفت فرق النصارى في المسيح عيسى عليه السلام وما ذا يجب أن يعتقد فيه؛ فقالت بعض فرقهم: هو ابن الله، وقال بعضهم: هو إله مع الله فهو الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس عندهم، وقال بعضهم: أن الله يتكون من ثلاثة أقانيم وهو ما يعرف بـ (عقيدة الثليث)، وقال بعضهم: أن المسيح صلبته اليهود بأمر بيلاطس البنطي وتوفي على الصليب[45].

وقد ذكر مفسّرنا اختلاف النصارى في المسيح عندما فسر قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (35)﴾ (مريم: 34-35)، فقال: "وجهه: أن اليهود قادحون والنصارى مادحون، فاليهود قالوا: ساحر وابن زنية، والنصارى فرقة: قالت: هو الله، وأخرى قالت: ابن الله، وثالثة قالت: ثالث ثلاثة، وهذه الفرق هي الملكانية، واليعقوبية، والنسطورية، ثم تشعبت؛ وأشهرها الآن: الملكائية أي: الكاثوليك، واليعقوبية: أي: أرثذوكس، والاعتراضية أي: البروتستانت"[46]. فهذه المذاهب كلّها إنما جاءت في أصل دين النصارى مما يدل على بطلانه، وهو تحذير مباشر من الشيخ أبي بكر للمسلمين من التأثر بعقيدتهم.

الفرع الثاني: عقيدتهم في البعث

عقيدة النصارى في البعث أن الناس سيبعثون بأجسادهم وأن هذه الأجساد ستبقى إلى الأبد لأنهم يؤمنون بالنعيم الأبدي في الجنة والعذاب الأبدي في النار، إلا أنهم يزعمون أن الجنة ليس فيها أكل ولا شرب ولا نكاح و لا شيء من المتع الحسية، وإنما يعتقدون أن المتعة تكون برؤية الله فقط[47].

وقد لخّص المفسّر أبو بكر الجزائري عقيدة النّصارى في مسألة البعث لمّا فسر قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ (الكهف: 21)، حيث قال: "قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أهل مدينتهم الذين انقسموا إلى فريقين؛ فريق: يعتقد أن البعث حق وأنه بالأجسام، والأرواح، وفريق يقول: البعث الآخر للأرواح دون الأجسام كما هي عقيدة النصارى إلى اليوم"[48].

الفرع الثالث: شدة بغض النصارى المعاصرين للمسلمين مقارنة بالنصارى الأوائل

حقد النصارى المعاصرين ومَن قبلهم للمسلمين معروف عبر التاريخ، وعلامته الكبرى الحروب الصليبية التي قاموا بها ضد المسلمين، بخلاف النصارى زمن النبوة فقد كانوا أخفّ من بغض المعاصرين وحقدهم لأنهم كانوا منصفين، قال ابن كثير: "الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح وعلى منهاج إنجيله فيهم مودة للإسلام وأهله في الجملة، وما ذاك إلاّ لما في قلوبهم، إذ كانوا على دين المسيح من الرقّة والرأفة"[49].

ولما فسر الشيخ أبو بكر الجزائري قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة: 82)، بيّن أنّ النصارى الأوائل كانوا من الذين يحملون في قلوبهم مودّة اتّجاه أهل

الإسلام بسبب أن منهم قسّيسين ورهباناً ، فالقسيسون علماء بالكتاب رؤساء دينّيون غالباً ما يؤثرون العدل والرحمة والخير على الظلم والقسوة والشر، والرهبان لانقطاعهم عن الدنيا وعدم رغبتهم فيها، ولكن الحال تغيّر في هذا الزمن، قال الشّيخ: "ولذا لما عمّت المادية المجتمعات النصرانّية، وانتشر فيها الإلحاد والإباحية قلّت تلك المودة للمؤمنين إن لم تكن قد انقطعت"[50]. فهذا نص صريح من مفسرنا يدل على الفرق بين النصارى الأوائل والمعاصرين في الإنصاف، ويدل على وعي الشيخ بحالهم والحذر منهم.

المبحث الثالث: تنزيلات تتعلق بأحوال وصفات أهل الكفر

ذكر مفسرنا عدّة صفات وأحوال تتعلق بأهل الكفر المعاصرين؛ وحاول استنطاق آيات القرآن الكريم وتنزيلها عليهم باختلاف أفكارهم؛ سواء من الملحدين أو الوثنيّين أو غيرهم، وربط الشيخ بين صفات أهل الكفر القدامى والمعاصرين ليبيّن أن هؤلاء خلف لسلفهم المتقدمين، لذلك لا يزالون متّصفين بتلك الصفات، وغرض الشيخ إنما هو تحذير المسلمين منهم والانتباه لمكرهم وخداعهم.

ويمكن تقسيم ما ذكره الشيخ أبو بكر في هذا الموضوع إلى قسمين: قسم فيه ذكر لأحوالهم وصفاتهم المتعلقة بعدائهم للإسلام والمسلمين، وقسم يتعلق بمجتمعهم وما فيه من انحرافات بسبب بعدهم عن دين الله تعالى، وقد جعلت كلّ واحد منها في مطلب تفصيله كما يلي:

المطلب الأول: تنزيلات تتعلق بالطعن في الإسلام والمجتمع الإسلامي

وأقصد بهذا النوع من التنزيلات: المسائل التي لها علاقة مباشرة بالمجتمع الإسلامي، حيث تدخل في سعي هؤلاء للقضاء على الإسلام وأهله أو تشويه صورته أمام العالم لينفر الناس عنه، وقد تحدث الشيخ عن مسائل عديدة منها:

الفرع الأول: رفض دعوة التوحيد والصدّ عنها

من صفات الكافرين: أنهم يصدون عن سبيل الله ويقفون حائلاً أمام من يرغب في الإيمان بالله وبرسوله محمد ﷺ، فلم يكتفوا بعدم إيمانهم بل سعوا لصدّ غيرهم عن سلوك الطريق المستقيم وحرصوا على ذلك[51].

وهذه الصفة كانت في كفّار مكة زمن الرسول ﷺ ولا تزال فيهم إلى يوم الناس هذا، ولذلك فإن الشيخ أبا بكر الجزائري نبّه على هذه الصفة لمّا فسّر قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً (4) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (5) قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً (6) وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً (7) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً (8) انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً (9)﴾ (الفرقان: 4-9)، فقال مثبتا للكفار المعاصرين نفس الصفة: "من هداية الآيات: بيان ما قابل به المشركون دعوة التوحيد من جلب كلّ قول وباطل ليصدّوا عن سبيل الله، وما زال هذا دأب المشركين إزاء دعوة التوحيد إلى اليوم وإلى يوم القيامة"[52]. فهذا جزم من الشيخ أن الكفار لم ولن يتوقفوا عن كيدهم للإسلام قديما ولا حديثا وذلك لشدة بغضهم له ويقينهم بقوته وأن العاقبة له.

الفرع الثاني: افتعال الأزمات للمسلمين

من صفات الكفار وأفعالهم التي حذّر منها المفسّر أبو بكر جابر الجزائري: صفة افتعال المشركين المشاكل للمجتمع المسلم ومحاولة التشويش عليهم لهزّ استقرارهم، وهذا هو دأب المنافقين والكافرين من

الزمن الأول، كما فعلوا لمّا تغيرت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، الأمر الذي هوّله الكفار والمنافقون واليهود ليبثوا الأراجيف والشك بين المؤمنين"[53].

وقد تحدّث مفسّرنا عن مكر الكفار بالمسلمين وافتعال الأزمات لهم، وذلك لمّا فسر قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنْ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: 142)، فقال: "من هداية الآيتين: ... الأراجيف وافتعال الأزمات وتهويل الأمور شأن الكفار إزاء المسلمين طوال الحياة، فعلى المؤمنين أن يثبتوا ولا يتزعزعوا حتى يظهر الباطل وينكشف والزيف وتنتهي الفتنة"[54].

الفرع الثالث: الطعن في الدين

طعن الكفار في الدين الإسلامي بدأ من زمن بعثة النبي محمد ﷺ، وقد كان لهذا الطعن صور كثيرة وأساليب متعدّدة، منها الاستهزاء والتنقص وغيرها، وقد بيّن ابن تيمية حكم ذلك الاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله وأنها كفر، فقال: "... كلّ من تنقص رسول الله صلى الله عليه وسلم جادًّا، أو هازلًا، فقد كفر الله"[55].

وقد أورد مفسّرنا صورتين من صور طعن الكفار المعاصرين في الدين الإسلامي، وهما:

أ- ادعاء التخلف بسبب اتباع شرائع الإسلام: وتحدّث عن هذه المسألة لما فسر قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (8) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (9)﴾ (الملك: 8-9)، حيث قال: "من هداية الآيات... بيان أن ما يقوله أهل النار في اعترافهم هو ما يقوله الملاحدة اليوم في ردهم على العلماء بأن التدين تأخّر عقلي ونظر رجعيّ"[56].

ب- إنكار الحدود الشرعية: ومن أبرز الحدود التي نصّ الشيخ أبو بكر أن الكفار طعنوا فيها: حدّ القصاص الذي أنكرته الحضارة الغربية المعاصرة، مع أنه كان معروفا عند جميع الحضارات السابقة حتى قبل الإسلام، كما كان عند اليهود والنصارى، قال ابن عباس: كان على بني إسرائيل القصاص في القتل [57].

وقد تحدث مفسّرنا عن إنكار الكفار للقصاص لما فسر قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (القصص: 33)، فقال: "من هداية الآيات: بيان أن القصاص كان معروفا معمولا به عند أقدم الأمم، وجاءت الحضارة الغربية فأنكرته فتجرّأ الناس على سفك الدماء وإزهاق الأرواح بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية، ولذلك صحّ أن تسمى الخسارة البشرية بدل الحضارة الغربية"[58].

المطلب الثاني: تنزيلات تتعلق بحال أهل الكفر ومجتمعهم

وأقصد بهذا النوع من التنزيلات: المسائل التي تقتصر على وصف انحرافات المجتمع الكفري في ذاته والتي تُبيّن عاقبة الانحراف عن منهج الله وشريعته، سواء في الجانب السياسي أو الأخلاقي، وقد ذكر الشيخ عدة قضايا في هذه الجزئية هي:

الفرع الأول: تطبيق سياسة الحكم الفرعوني "فرّق تسد"

والمقصود من هذه السياسة والنظام في التسيير هو زرع بذور الفتنة والعداوة والبغضاء بين المحكومين كيلا يتفقوا على أمر ولا يجمعوا على رأي، بل يشتغل بعضهم بالكيد لبعض، وبذا يسهل قيادتهم، ولا يصعب خضوعهم واستسلامهم، وهذا نظام مضادّ لسياسة الإسلام القائم على التأليف والجمع على قلب واحد، وإشاعة روح المحبة والتسامح والود والوئام[59].

وقد ذكر الشيخ أبو بكر هذه السياسة ووصف بها المجتمعات الغربية في قيادة حكوماتهم، وذلك لمّا فسّر قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ

نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: 4)، فقال: "وقوله: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا﴾ أي: أهل تلك البلاد المصرية ﴿شِيَعا﴾ أي: طوائف فرّق بينها إبقاءً على ملكه على قاعدة "فرق تَسُدْ"، المذهب السياسي القائم الآن في بلاد الكفر والظلم"[60]. وهذا النص يدلّنا على اطلاع الشيخ على واقع السياسات الغربية في تسيير حكوماتها وشعوبها، وربط ذلك بما ذكره القرآن الكريم.

الفرع الثاني: اتخاذ شعارات خاصة ذات مدلولات معينة

لكلّ أهل ملّة شعارات خاصة ورموز تدلّ على اعتقادات وأفكار معيّنة، وهو الأمر الذي سارت عليه الفرق والتيارات الفكريّة قديما وحديثا، وسبب ذلك هو شعور الحاملين لهذه الشعارات بالانتماء والولاء لذلك التيار، كما قال ابن تيمية: "المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس"[61].

وقد نبّه الشيخ أبو بكر على هذه المسألة لما تحدّث عن سبب تسمية الطاغية "أبي لهب" بهذا الاسم في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسد: 1)، حيث قال: "سمّي أبو لهب بأبي لهب وكان اسمه عبد العزى، فسمي باللّهب لحسنه وإشراق وجهه؛ وقال العلماء سمي بأبي لهب لمعانٍ أربع، والذي أراه أنه سمي بقضاء وقدر: أبا لهب ليكون من أهل النار، نظيره اختيار الشيوعيين اليوم شعار الحمرة، وكلمة اليسار، لما سبق أنهم أهل النار وأصحاب الشمال وهم أهل النار"[62]. وهذا استنباط عجيب وربط دقيق بين المعاني مما يدلنا على قوة الاستنباط عند الشيخ أبي بكر جابر الجزائري.

الفرع الثالث: شيوع الفواحش مما أدى إلى كثرة الإجهاض

تعاني المجتمعات الكافرة من آفات كثيرة بسبب بُعدها عن الشريعة الإلهية؛ وقد تنوعت هذه الآفات لتشمل الأعراض والأموال والأنفس وغيرها، ومن أعظم تلك الآفات: فاحشة الزنا التي ترتّبت عليها آثار كثيرة على رأسها: الإجهاض، الذي هو فعل حرم ولو في بدايته، ولو كان عَلَقةً؛ لأنه فساد في الأرض، إلاّ إن تبيّن ضرره البالغ على الأم، كأن أضرّ بحياتها، لا لأجل خوف ولا عَيْلة[63].

وقد تحدث مفسّرنا عن هذه الظاهرة وشيوعها في المجتمعات الكفرية لما فسّر قوله تعالى: ﴿وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنْ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾ (الطلاق: 4)، حيث بيّن الشيخ عدّة الحامل وأنها تنقضي بوضع الحمل والذي يكون بالولادة لا بالإجهاض فقال: "وقوله ﴿وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ﴾ أي: الحوامل إن طُلّقن أو مات عنهن أزواجهن، ﴿أَجَلُهُنَّ﴾ في انقضاء عدتهن ﴿أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ أي: وضع حملهن، فمتى ولدت ما في بطنها من جنين فقد انقضت عدّتها ولو وضعته قبل استكمال التسعة أشهر، إن لم تتعمد إسقاطه بالإجهاض المعروف اليوم عند الكوافر والكافرين"[64].

خاتمة:

في خاتمة هذا البحث مع الشيخ أبي بكر جابر الجزائري وتفسيره أيسر التفاسير وتنزيلاته فيه، أخلص إلى النتائج الآتية:

1- قوة الاستنباط عند الشيخ أبي بكر جابر الجزائري؛ حيث كان يربط بين معنى الآية والواقع الذي يعيشة حتى ولو لم تصرح الآية بذاك المعنى لفظا.

2- التفسير الاجتماعي كان حاضرا بقوة في كتاب "أيسر التفاسير"، يتجلى ذلك من خلال اشتماله على كثير من التنزيلات على المجتمعات المعاصرة مسلمة أو كتابية أو كافرة.

3- جاءت تنزيلات الشيخ أبي بكر على المجتمعات غير المسلمة متنوعة لتشمل اليهود والنصارى والكفار، وقد ذكر مفسّرنا صفات مشتركة بينهم وصفات انفرد بها كلّ واحد منهم عن الآخر.

4- تنوّعت القضايا الاجتماعية التي نزّل عليها المفسّر آيات القرآن الكريم، لتشمل قضايا عقدية وأخلاقية؛ بعضها يتعلق بفسادهم في أنفسهم وبعضها يتعلق بمحاولة إفسادهم للمجتمع الإسلامي .

5- جاءت التنزيلات التي عالجها المفسّر فيما يتعلق بالمجتمع غير الإسلامي متنوعة بين إبراز عداوتهم للمسلمين ومحاولة إفساد مجتمعهم، وبين مظاهر فسادهم في ذاتهم، وقد ذكرها الشيخ لتحصيل غرضين: أولهما: بيان عالميّة الكتاب وأنه أنزل رحمة وهداية للعالمين، وثانيهما: تحذيرا للمسلمين لئلا يتّبعوهم ولا يغتروا بهم فيما لا ينفعهم بل يضرهم.

قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم بن محمد الحقيل، مقال "تحول العداء اليهودي النصراني إلى وفاق"، موقع الألوكة، 2007م، الرابط: https://www.alukah.net/spotlight/0/1508/
- ابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، العجاب في بيان الأسباب، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة: الأولى، 1997م.
- ابن ماجه القزويني (ت: 273هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، (د. ط)، (د.ت).
- أبو الحسن الواحدي (ت:468هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم والدار الشامية، بيروت، ط 1، 1415هـ.
- أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، المملكة العربية السعودية، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، 1420هـ/1999م.
- أبو بكر جابر الجزائري (ت:2018م)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المملكة العربية السعودية، ط 5، 1424هـ/2003م.
- أبو حيان (ت: 745 هـ)، البحر المحيط في التفسير، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.
- أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ)، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط 1، 1365هـ/1946م.
- حيزية كروش، التيسير اللغوي لمعاني القرآن بالتفسير والبيان لدى أبي بكر الجزائري من خلال كتابه - أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير-، مجلة أقلام الهند، محسن عتيق خان، الهند، السنة الرابعة، العدد الرابع، أكتوبر-ديسمبر، 2019، رابط المقال:https://www.aqlamalhind.com/?p=1527
- عبد القادر شكيمة والطالبة بوذيب أمينة، مداخلة بعنوان: تنزيل آيات الأحكام على النوازل المعاصرة عند الشيخ: أبي بكر جابر الجزائري من خلال تفسيره "أيسر التفاسير مع حاشيته - نهر الخير-"، الملتقى الدولي: جهود علماء الغرب الإسلامي في تنزيل النص القرآني على الواقع، جامعة الشهيد: حمه لخضر، بتاريخ: 15-16 نوفمبر 2022م.
- شرف الدين الطيبي (ت: 743 هـ)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط 1، 1434هـ/2013م.
- سعود بن عبد العزيز الخلف دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 4، 1425هـ/2004م.

- صحيح البخاري (ت: 256هـ)، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ /1987م.
- صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، 1429هـ/2008م.
- عبد الرحمن الثعالبي (ت: 875هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ت: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1418هـ.
- عبد العزيز الضامر، تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين – دراسة وتطبيق-، المجلس الوطني للإعلام، الإمارات، ط1، 1428هـ/2007م.
- فضل بن عبد الله مراد، المقدمة في فقه العصر، الناشر: الجيل الجديد ناشرون، صنعاء، الطبعة: الثانية، 1437هـ/2016م.
- فيصل بن عبد العزيز المبارك (ت: 1376هـ)، توفيق الرحمن في دروس القرآن، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، الناشر: دار العاصمة، المملكة العربية السعودية الرياض، دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم – بريدة-، ط 1، 1416هـ/1996م.
- محمد ابن تيمية (ت: 728هـ)، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط 7، 1419هـ/ 1999م.
- محمد ابن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودري، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 1417م.
- محمد ابن جرير الطبري (ت:310 هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ/ 2000م.
- محمد الأمين الشنقيطي (ت 1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، (د.ط)، 1415هـ.
- محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ)، صحيح البخاري تحقيق: د مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط 3، 1407هـ/1987م.
- محمد بن رزق بن طرهوني، التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، دار ابن الجوزي، السعودية، ط 1، 1426هـ.
- محمد بن عبد الله السحيم، أصغر رسالة في نقض النصرانية، دار العاصمة للنشر والتوزيع، السعودية، ط 1، (د.ت).
- ناصر الدين البيضاوي (ت: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل بتحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1418هـ.
- نعمة الله بن محمود النخجواني (ت: 920هـ)، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، الناشر: دار ركابي للنشر الغورية، مصر، ط 1، سنة: 1419هـ /1999م.
- هشام شوقي، تنزيل الآيات على الواقع عند الإمام ابن باديس من خلال تفسيره "مجالس التذكير"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية"، قسنطينة الجزائر، العدد 4، المجلد 30، بتاريخ: 2016/12/31، الصفحات: 45-72.
- وهبة الزحيلي (ت: 2015م)، التفسير المنير، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط 2، 1418هـ.

الهوامش:

[1]- اكتفيت في ترجمة الشيخ بإشارات سريعة فقط لأن ترجمته ليست من مقاصد بحثي، كما أنه توجد تراجم كثيرة موسعة حول الشيخ فصّلت حياته الشخصية والعلمية.

[2]- محمد بن رزق بن طرهوني، التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، دار ابن الجوزي، السعودية، ط 1، 1426هـ، ج1، ص 201-202.

[3]- المرجع نفسه، ج1، ص 201-202.

[4]- حيزية كروش، التيسير اللغوي لمعاني القرآن بالتفسير والبيان لدى أبي بكر الجزائري من خلال كتابه -أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير-، مجلة أقلام الهند، محسن عتيق خان، الهند، السنة الرابعة، العدد الرابع، أكتوبر- ديسمبر، 2019، رابط المقال: https://www.aqlamalhind.com/?p=1527. ص 122.

[5]- ينظر: عبد القادر شكيمة والطالبة بوذيب أمينة، مداخلة بعنوان: تنزيل آيات الأحكام على النوازل المعاصرة عند الشيخ: أبي بكر جابر الجزائري من خلال تفسيره "أيسر التفاسير مع حاشيته - نهر الخير-"، الملتقى الدولي: جهود علماء الغرب الإسلامي في تنزيل النص القرآني على الواقع، جامعة الشهيد: حمه لخضر، بتاريخ: 15-16 نوفمبر 2022م، ص 5-10.

[6]- أبو بكر جابر الجزائري (ت:2018م)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المملكة العربية السعودية، ط 5، 1424هـ/2003م، ج1، ص 7.

[7]- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم: 3274.

[8]- هذا ملخص ما ذكره الشيخ في مقدمة تفسيره مبينا منهجه فيه، ينظر: أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1، ص 6-7.

[9]- صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، 1429هـ/2008م، ص 568.

[10]- هشام شوقي، تنزيل الآيات على الواقع عند الإمام ابن باديس من خلال تفسيره "مجالس التذكير"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية"، قسنطينة الجزائر، العدد 4، المجلد 30، بتاريخ: 31-12-2016، الصفحات: 45-72.

[11]- أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج3، ص319.

[12]- رواه ابن ماجه في سنن، [افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم]، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم: 224.

[13]- أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج4، ص195.

[14]-عبد العزيز الضامر، تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين – دراسة وتطبيق-، المجلس الوطني للإعلام، الإمارات، ط 1، 1428هـ/2007م، ص: 71-82.

[15]- المرجع نفسه، ص 89-98.

[16]- وهبة الزحيلي (ت: 2015م)، التفسير المنير، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط 2، 1418 هـ، ج1، ص271.

[17]- أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1، ص 99.

[18]- المرجع نفسه، ج1، ص 121.

[19]- إبراهيم بن محمد الحقيل، مقال "تحول العداء اليهودي النصراني إلى وفاق"، موقع الألوكة، 2007م، الرابط: https://www.alukah.net/spotlight/0/1508/

[20]- أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1، ص 151.

[21]- أبو بكر جابر الجزائري، حاشية نهر الخير على أيسر التفاسير، ج1، ص 652.

[22]- محمد ابن جرير الطبري (ت:310 هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1420هـ/ 2000 م، ج7، ص111.

[23]- أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1، ص 360.

[24]- أبو بكر جابر الجزائري، حاشية نهر الخير على أيسر التفاسير، ج1، ص 360.

[25]- ابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، العجاب في بيان الأسباب، دار ابن الجوزي، السعودية، ط 1، 1997م، ج2، ص722.

[26]- أبو بكر جابر الجزائري، حاشية نهر الخير على أيسر التفاسير، ج1، ص 353.

[27]- عبد الرحمن الثعالبي (ت: 875هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ت: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1418هـ، ج2، ص 59.

[28]- أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1، ص 333.

[29]- المرجع نفسه، ج1، ص 487.

[30]- المرجع نفسه، ج1، ص 329.

[31]- أبو حيان (ت: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، ج1، ص433.

[32]- أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير،ج1، ص 72.

[33]- نعمة الله بن محمود النخجواني (ت: 920هـ)، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، الناشر: دار ركابي للنشر - الغورية، مصر، ط 1، 1419هـ /1999م، ج2، ص 402، وعبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج4، ص 44.

[34]- أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج3، ص 405.

[35]- أبو بكر جابر الجزائري، نهر الخير على أيسر التفاسير، ج1، ص 571.

[36]- ناصر الدين البيضاوي (ت: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل بتحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1418هـ، ص 69.

[37]- أبو بكر جابر الجزائري، نهر الخير على أيسر التفاسير، ج 2، ص 257.

[38]- رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة 146)، برقم: 3436.

[39]- أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج 5، ص 391.

[40]- شرف الدين الطيبي (ت: 743هـ)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، 1434هـ/2013م، ج5، ص 310.

[41]- أبو بكر جابر الجزائري، حاشية نهر الخير على أيسر التفاسير، ج 2، ص 321.

[42]- أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج 1، ص 569.

[43]- ابن جرير الطبري ، جامع البيان، ج2، ص 276 ، وأبو الحسن الواحدي (ت: 468هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم والدار الشامية، بيروت، ط 1، 1415هـ، ج 3، ص166.

[44]- أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1، ص 87.

[45]- محمد بن عبد الله السحيم، أصغر رسالة في نقض النصرانية، دار العاصمة للنشر والتوزيع، السعودية، ط 1، (د.ت)، ص: 2-5.

[46]- أبو بكر جابر الجزائري، حاشية نهر الخير على أيسر التفاسير، ج 3، ص 308.

[47]- سعود بن عبد العزيز الخلف دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 4، 1425هـ/2004م، ص 334.

[48]- أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير،ج3، ص 247.

[49]- أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، المملكة العربية السعودية، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، 1420هـ/1999م ج3، ص 150.

[50]- أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج2، ص 5.

[51]- محمد الأمين الشنقيطي (ت 1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، (د.ط)، 1415هـ، ج7، ص 244.

[52]- أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير،ج3، ص 601.

[53]- البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج1، ص 110

[54]- أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1، ص 126.

[55]- محمد ابن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودري، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 1417م ، ص 31.

[56]- أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج 5، ص 397.

[57]- فيصل بن عبد العزيز المبارك (ت: 1376هـ)، توفيق الرحمن في دروس القرآن، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، الناشر: دار العاصمة، المملكة العربية السعودية - الرياض، دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم – بريدة-، ط 1، 1416هـ/1996م، ج2، ص 69.

[58]- أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير،ج4، ص 73.

[59]- وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج20، ص 56، وأحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ)، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط 1، 1365هـ/1946م، ج20، ص 32.

[60]- أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج4، ص 52.

[61]- محمد ابن تيمية (ت: 728هـ)، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط 7، 1419هـ/ 1999م، ج1، ص 44.

[62]- أبو بكر جابر الجزائري، حاشية نهر الخير على أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج5، ص 627.

[63]- فضل بن عبد الله مراد، المقدمة في فقه العصر، الناشر: الجيل الجديد ناشرون، صنعاء، ط 2، 1437هـ/2016م، ج2، ص 598.

[64]- أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج 5، ص 377.